مظاهر الحب والكراهية
" بين تكريم باتروكلوس والتنكيل بهيكتور "

د. عادل سعيد النحاس
كلية الآداب– جامعة القاهرة
قسم الدراسات اليونانية واللاتينية

تُحدثنا الأساطير الإغريقية أن العلاقة بين البطل أخيليوس وصديقه باتروكلوس قد بدأت منذ الصغر؛ فعندما كان صغيراً، قتل باتروكلوس صديقه كليسونيموس عن طريق الخطأ أثناء تنافسهما في لعبة الزهر، وخوفاً على ابنه من القصاص، فر مينويتيوس بابنه باتروكلوس واحتميا بقصر الملك بيليوس في فثيا ؛ وكانت هذه هي المرة الأولى التي يلتقي فيها باتروكلوس أخيليوس بن الملك بيليوس. ومنذ ذلك الحين أصبحا صديقين ورفيقين متلازمين لا يفترقان أبداً . وقد أرسلهما الملك بيليوس إلى الملك خايرون، ملك الكنتاوروس الحكيم ، ليتعلما ويتربيا على يديه، ومن هنا بدأت العلاقة الوثيقة بين أخيليوس وباتروكلوس؛ فقد نشآ معاً وتربيا سوياً فارتبط كل منهما بالآخر رباطاً وثيقاً، وهو الأمر الذي أكد عليه هوميروس أكثر من مرة في الإلياذة[١] . كان باتروكلوس يكبر أخيليوس ببضع سنين، وهو ما تخبرنا به الإلياذة في حديث نستور لباتروكلوس[٢]:

τέκνον ἐμόν, γενεῇ μὲν ὑπερτερός ἐστιν ᾽Αχιλλεύς,
πρεσβύτερος δὲ σύ ἐσσι· βίῃ δ᾽ ὅ γε πολλὸν ἀμείνων.
ἀλλ᾽ εὖ οἱ φάσθαι πυκινὸν ἔπος ἠδ᾽ ὑποθέσθαι
καὶ οἱ σημαίνειν.

يابني ، قد يباهي أخيليوس بأنه الأفضل منك نسباً،

أما أنت فتكبره سناً. كما أنه يتفوق عليك من حيث القوة
ولكن من المفيد أن تنصحه نصيحة عاقلة،
وأن توضح له ما يجب عليه فعله [٣] .

وبينما كان أخيليوس – الأكثر قوة– يتحمل مسئولية الدفاع عن صديقه، وقد تعهد مع بداية الحملة على طروادة بحمايته وإعادته إلى وطنه محملاً بالغنائم[٤]؛ كان باتروكلوس يقدم لأخيليوس، بالاشتراك مع فوينيكس، الرعاية والمشورة. لقد تعامل الملك بيليوس مع فوينيكس وباتروكلوس كأبنائه، وتحمل ثلاثتهم مسئولية نشأة وتربية أخيليوس. كان باتروكلوس أصغر سنا من فوينيكس وأكبر قليلا من أخيليوس، ولذلك فلم يكن مجرد صديق ورفيق لأخيليوس بل أصبح راعياً وناصحاً له، أخيه الأكبر ووالده في ذات الوقت مثل فوينيكس وباتروكلوس، وقد بعث بهما الملك بيليوس لمرافقة أخيليوس في الحرب مما يشير إلى حاجته إلى راع ومستشار. وبينما كان أخيليوس يتباهى بأنه شديد البأس في الحرب، لا يفوقه أحد في مهارات القتال، حيث يقول[٥]:

τοῖος ἐὼν οἷος οὔ τις ᾽ Αχαιῶν χαλκοχυτώνων

أنا الذي لا نظير له في الحرب، من بين الآخيين لابسي البرونز.

كان باتروكلوس نظيراً للآلهة في المشورة، وهو ما يظهر في حديث أوتوميدون بن ديوريس[٦]:

᾽ Αλκίμεδον, τίς γάρ τοι ᾽ Αχαιῶν ἄλλος ὁμοῖος
ἵππων ἀθανθτων ἐχέμεν δμῆσίν τε μένος τε,
ἐι μὴ Πάτροκλος , θεόφιν μήστωρ ἀτάλαντος,
ζωὸς ἐών;

أي ألكيميدون، مَنْ غيرك من أبطال الآخيين بوسعه
أن يشكم ويقود خيولاً خالدة
باستثناء باتروكلوس، صنو الآلهة في المشورة،
عندما كان حيا؟

ويرى روبرت فينلاي[٧] .Finlay R أن نصائح باتروكلوس لأخيليوس، وكذا علاقتهما الفريدة المتميزة ، كانت سبباً في أن ينظر أخيليوس إلى صديقه الأكبر سنّاً كراع له، يستطيع أن يتحمل عنه الكثير من الأعباء ، ومن ذلك طلبه من باتروكلوس أن يحمل ابنه نيوبتوليميوس معه في السفينة إلى فثيا ليرعاه ويهتم بشئونه من بعده[٨]؛ وبقيام باتروكلوس بدور بيليوس يضمن أخيليوس استمرارية نسله من خلال تأمين مستقبل ابنه.

لم يرد الكثير عن باتروكلوس قبل الكتاب الحادي عشر سوى نقل الأوامر عن أخيليوس، حيث يظهر صامتاً في العديد من مشاهد الإلياذة : فهو إما مرافقاً للمنادي الخاص بأجاممنون [الكتاب الأول، الأبيات ٣٤٥-٣٤٨]، أو يقوم بالشواء لرسل أجاممنون[الكتاب التاسع، الأبيات ٢٠٥-٢١٧]، أو يقوم بإعداد الفراش لفوينيكس [الكتاب التاسع، الأبيات ٦٢٠-٦٢١، ٦٥٨٠٦٥٩]، أو يقوم بالاستماع في صمت إلى عزف أخيليوس على القيثارة " وهو يتغنى بأمجاد الأبطال" [الكتاب التاسع، الأبيات ١٨٩-١٩٠] . إلا أن مكانته ومنزلته لدى أخيليوس كانت عظيمة، فقد أسبغ عليه العديد من الصفات : فهو "رفيقه الحبيب" **φίλῳ ... ἑταίρῳ** [٩]، و"أفضل الآخيين" **Μυρμιδόνων τὸν ἄριστος ἄριστος ᾽ Αχαιῶν** [١٠]، بل " وأفضل الميرميدونيين" [١١] ؛كما تظهر مكانته لديه بوضوح في تضرع أخيليوس للآلهة مختصاً باتروكلوس معه بالدعاء قائلا[١٢]:

αἰ γάρ, Ζεῦ τε πάτερ καὶ ᾽ Αθηναίη καὶ ῾ Απολλον,
μήτε τις οὖν Τρώων θάνατον φύγοι, ὅσσοι ἔασι,
μήτε τις ᾽ Αργείων, νῶϊν δ᾽ ἐκδῦμεν ὄλεθρον,
ὄρφ᾽ οἷοι Τροίης ἱερὰ κρήδεμνα λύωμεν.

أيها الأب زيوس، ويا أثينة، ويا أبوللون،
ليت لا ينجو من الموت أحد من الطروادبين، أيا كان عددهم
ولا من الأرجيين أيضا. ابعدوا عنا- نحن الاثنين فقط- الهلاك
حتى نمزق – نحن الاثنين فقط- تاج طروادة المقدس

فمن خلال تلك الأمنيةَ تتضح لنا قوة العلاقة بين أخيليوس وباتروكلوس بأسلوب بلاغي، حيث اختص نفسه وصديقه فقط بتمني النجاة من الهلاك وبالحصول على المجد والشهرة بتدمير الطرواديين(١٣).

كان باتروكلوس يقوم برعاية أخيليوس والاهتمام بشئونه الخاصة- صغيرها وكبيرها- حتى تلك التي تقوم بها النساء للرجال(١٤)، فكان يعد له الطعام ويجهز له الفراش، كما لو كان القائم بأعمال المنزل وليس محارباً(١٥)، بينما يقوم أخيليوس بتوزيع اللحم[الكتاب التاسع، البيت ٢١٧ ؛ الكتاب الرابع والعشرون، البيت ٦٢٦]، مما يؤكد مكانته ومنزلته بين قومه وهيمنته على مجريات الأمور(١٦).كان وصف موائد الطعام والولائم من الأمور الشائعة في الإلياذة، أما إعداد هذه الولائم فلم يكن من الطبيعي نسبته للأبطال ، بل إن دور باتروكلوس في إعداد الطعام لأخيليوس يتشابه مع دور الخادمة هيكاميدي(١٧). لقد تعامل باتروكلوس مع أخيليوس كأم وأب وأخ أكبر، يرعاه ويهتم بشئونه، بل وربما كزوجة له أيضا(١٨). فمع بداية القرن الخامس ق م، أضافت المصادر الأدبية إلى العلاقة بينهما البعد الجنسي. وهو ما يظهر بشكل واضح خصوصاً في الشذرات المتبقية من مسرحية " حوريات البحر " لأيسخيلوس ، وهي الجزء الأول من ثلاثية بعنوان " أخيليات "؛ كما تحدث عن ذات المنظور في العلاقة بينهما أيضاً أفلاطون في عمله " المنتدى"، حيث يهتم فايدروس بمحاولة معرفة من منهما العاشق **ἐραστής** ومن المعشوق **ἐρώμενος** (١٩) ؛ بينما يؤكد كسينوفون في عمله " المنتدى" على لسان سقراط أنهما كانا مجرد "صديقين أو رفيقين" **ὡς ἑταίρῳ** (٢٠).

وقد ناقش العلماء المحدثون طبيعة العلاقة بين أخيليوس وباتروكلوس، متسائلين هل كان أخيليوس يعشق باتروكلوس بالفعل؟ هذا السؤال يطرحه كلارك(٢١).**Clarke W.M.** في محاولة منه لدحض مزاعم غيره من النقاد الذين يؤكدون على وجود مثل تلك العلاقة بين أخيليوس وباتروكلوس؛ وكثيرا ما توافق رأي العلماء مع وجهة نظر كسينوفون الذي أنكر وجود مثل تلك العلاقة بينهما. ولكن من المؤكد أن ملحمة الإلياذة لا تحتوي أية

إشارة أو تلميح لوجود مثل هذا العشق بينهما فقد قدمهما هوميروس، على الأقل بشكل واضح، كأفضل الأصدقاء، ولا شيء أبعد من ذلك [٢٢].

وعلى شواطئ طروادة، تدور إلياذة هوميروس تتمركز في مجملها حول محورين فصالوا وجالوا في أرض المعركة وأنزلوا بالآخيين الهلاك والدمار فأخذوا يتساقطون أمامهم بين قتيل وجريح. والمحور الثاني هو حبه لباتروكلوس وصداقته القوية وارتباطه الوثيق به منذ الصغر مما دفعه للتخلي عن غضبه والمشاركة في القتال.

يقول بول فريدريك[٢٣] .Friedrich P "**إن أقسى طريقة لإهانة الرجل في الإلياذة تلك التي تكون النساء طرفاً فيها– سواء أكانت زوجة أم محظية**"؛ وقد شعر أخيليوس بإهانة بالغة مما فعله أجاممنون به بعد أن سلبه محظيته بريسئيس، ولذلك فلم يكن ليتحرك أو يقتنع بالمشاركة في القتال حتى مع كل خسائر الآخيين الفادحة إلا لسبب قوي. ظل أخيليوس قابعاً في سفنه ولم يحرك ساكناً أو يهتم بما يحل بالإغريق، بل كان نهاية الكتاب الثامن حين توافقت وجهة نظر الربة ثيتيس مع رغبة الإله زيوس وبدأت تظهر نتائجها؛ فالإغريق في تقهقر مستمر وقد تحصنوا في معسكرهم بعد غروب الشمس منتظرين هجوم الطرواديين عليهم مع بزوغ شمس اليوم التالي واجتياحهم لمعسكرهم . وقد أذعن أجاممنون _ بعد أن أقر بخطئه _ لنصيحة نستور بإرسال مبعوثيه لأخيليوس ليحثونه على العودة إلى القتال، واقترح تقديم تعويض مناسب لأخيليوس، ليس فقط بإعادة بريسئيس إليه– بعد أن أقسم بأنه لم يقربها[٢٤]– ولكن أيضا بتقديم العديد من الهدايا النفيسة.

وعلى الرغم من تجاهل أوديسيوس – رسول أجاممنون– لكلمات أجاممنون التي طالب فيها بإذعان أخيليوس له والإنصياع لأمره وأنه ينبغي عليه ألا ينسى أنه ملك الملوك؛ إلا أن أخيليوس لم ينخدع بتلك الهدايا وبكل الكلمات المعسولة التي حاول أوديسيوس أن يستميله بها فرفض وساطة الرسل ورفض قبول الهدايا أو استقبال رسل

آخرين ، ورفض أن يستمع لأية أحاديث أخرى عن أجاممنون أو عن الآخيين، كما رفض أيضاً المشاركة ثانية في قتال الطرواديين ، بعد أن قرر العودة إلى دياره مع قواته وسفنه[٢٥]. ؛ فمن بين كل الكلمات التي ذكرها أوديسيوس لم يلحظ أخيليوس ندم أجاممنون على ما اقترفه في حقه، أو لمح في طيات الكلمات اعتذاره عما بدر منه، وأنى يكون ذلك وهو ملك الملوك والقائد العام لجحافل الجيوش الإغريقية؛ إنها الغطرسة بكل معانيها، تلك التي عبر عنها هوميروس في الإلياذة باستخدام العديد من الصفات والأسماء والأفعال[٢٦].

وعلى الرغم من ابداء أخيليوس رغبته في العودة إلى دياره حتى ينعم بالعمر المديد والحياة الهانئة، إلا أنها لم تكن رغبة صادقة، فهو يسعى دائما للمجد والشهرة التي لا تزول، ولكنها كانت رغبة أبداها نتيجة لجرح غائر في كرامته، والدليل على ذلك استعداده لاختيار المصير الآخر، وهو الحياة القصيرة مع الحصول على المجد والشهرة الواسعة إذا ما تقدم له أجاممنون بالاعتذار[٢٧].

وعندئذ صدق زيوس وعده للربة ثيتيس وهزم هيكتور والطروادیون الآخيين وجعلوهم يتقهقرون نحو سفنهم بعد أن قتل وجرح العديد منهم وكان على رأس الجرحى أوديسيوس وديوميديس – سائق عربة أجاممنون الحربية – بل وأجاممنون نفسه؛ وكان أخيليوس يرقب كل تلك الأحداث من داخل خيمته ، مرسلاً باتروكلوس من حين إلى آخر لتقصى أخبار الجرحى حتى علم بإصابة ماخاؤن طبيب الجيش فأدرك أنهم هالكون لا محالة.

عاد باتروكلوس من خيام الآخيين باكياً، فحاول أخيليوس مداعبته والتلطف معه إلا أنه أيقن في النهاية أن دموع صديقه الحبيب تنهمر بسبب ما حل بالآخيين؛ وفي حديثه[٢٨]. نلمح جانب الشفقة الذي يستشعره أخيليوس في باتروكلوس ويحب أن يراه في نفسه ، أو ما يمكن أن يسمى " بالأنا الأخرى" لأخيليوس (**alter ego**)[٢٩] في صراعه الداخلي بين شفقته على الآخيين وغضبه الشديد من أجاممنون، ذلك الجانب الأضعف في شخصيته أو تلك الصورة الإنسانية التي لا يحب أن يراها الآخرون فيه[٣٠]. وعندئذ

استغل باتروكلوس ذلك الملمح الإنساني الكامن بداخله وبادره باقتراح أوعز به إليه نستور، بأنه إذا لم تكن لديه الرغبة في المشاركة بنفسه في القتال، وكانت كل تلك الهزائم والإصابات كافية لإرضاء غروره وإشباع رغبته في التشفي من الآخيين وإقناعه بأنهم قد أدركوا مكانته المتميزة في القتال وفي الدفاع عنهم، فعليه أن يرسله هو للقتال مرتدياً أسلحته التي قدمها له الملك بيليوس، حتى يضطرب الطرواديين ظناً منهم أنه أخيليوس، مما يمنح بعض المتنفس للآخيين[٣١]. وبعد طول رجاء وتوسل من باتروكلوس يرضخ أخيليوس ويبدي موافقته على ارساله للقتال حاملاً أسلحته ومرتدياً درعه؛ وهنا تختلط مشاعر أخيليوس بشدة، فقد كان لزاماً على باتروكلوس أن يطرد الطرواديين بعيداً عن سفن الآخيين فقط ثم يعود أدراجه، حتى لا ينال الشهرة والمجد دون أخيليوس، وحتى لا يتدخل الإله أبوللون في مواجهته[٣٢]، ولذلك نراه يوجه حديثه إلى باتروكلوس في نبرة صارمة ويقول[٣٣]:

ἐκ νηῶν ἐλάσας ἰέναι πάλιν· εἰ δέ κεν αὖ τοι
δώῃ κῦδος ἀρέσθαι ἐρίγδουπος πόσις Ἥρης,
μὴ σύ γε ἄνευθεν ἐμεῖο λιλαίεσθαι πολμίζειν
Τρωσὶ φιλοπτολέμοισιν· ἀιμότερον δέ με θήσεις·
μηδ' ἐπαγαλλόμενος πολέμῳ καὶ δηϊοτῆτι,
Τρῶας ἐναιρόμενος

اطرد الأعداء بعيداً عن السفن وعد ثانية، لكن إذا منحك
زوج هيرا، ذو الرعد المدوي، مجداً تطيب له نفسك
فلا تطمع أن تخوض المعركة دوني
ضد الطرواديين محبي النزال، فأنت حينئذ تنقص من قدر مكافأتي.
لا تدع نشوة الفخر، لضراوة النزال
وقتل الطرواديين، تصيبك.

عندئذ أسرع باتروكلوس بشد دروع الساق حول ساقيه وأحاط كامل صدره بدرع أخيليوس الفولاذي المرصع بالنجوم الزاهرة ثم وضع على كتفه سيفاً برونزياً مصقولاً بمهارة ووضع

فوق رأسه خوذته الصلبة المزينة بعرف من شعر الجياد، وأخيراً أمسك برمحين يلائمان قبضتيه ، كما خرج ممتطياً جواده، مصحوبا بدعوات أخيليوس بأن يدمر الطرواديين(٣٤)؛ ولكن ماذا عساه باتروكلوس أن يفعل رغم هيئته التي باتت تشبه هيئة أخيليوس؟ سوف يدفع الطرواديين بعيدا عن سفن الآخيين بعد أن يدب الخوف والرعب في قلوبهم ظناً منهم أنه أخيليوس؛ وسيقتل العديد من الطرواديين وأتباعهم، ومن بينهم البطل ساربيدون بن زيوس، وكبريونيس ، قائد العربة الحربية لهيكتور والابن غير الشرعي للملك برياموس؛ ولا شئ أكثر من ذلك ، فليست لديه قدرة وبراعة أخيليوس في مهاجمة طرواده. وعلى الرغم من تحذير أخيليوس له بعدم خوض النزال بعيداً عن سفن الآخيين، إلا أنه تمادى في القتال معتقداً أنه بارتدائه أسلحة أخيليوس أصبح يمتلك نفس قوته ومقدرته القتالية التي حصل عليها أخيليوس في نهر ستيكس عندما كان طفلا رضيعاً. قد يستطيع باتروكلوس أن يحارب بمهارة شديدة وبجرأة فائقة، لكنه في الوقت نفسه لا يستطيع الإلتزام لوقت طويل بقوة القتال وشراسته اللذين يتميز بهما أخيليوس. سعى باتروكلوس جاهداً، لشدة افتخاره بارتداء درع أخيليوس، للقتال مثلما يقاتل صديقه بقوة وشراسة تفوق طاقة البشر، فأدت غطرسته وتهوره إلى سوء تقديره للأمور وأعمته عن الحكم الجيد للموقف، مما أفقده القدرة على التفكير السليم وعلى القتال بكامل طاقته، بل وأفقده حياته ذاتها(٣٥). فبعدما نجح باتروكلوس إلى حد كبير في صد هجوم الطرواديين والتخفيف عن مواطنيه، أفاق الطرواديون من غفوتهم، وتحول القدر ضده بظهور هيكتور في عربته، فتمت المواجهة بينهما. ألقى باتروكلوس بحجر كبير تجاه الفتى الطروادي فأصاب كبريونيس– قائد العربة الحربية– وعندئذ قفز هيكتور من العربة لإنقاذ صديقه، اتجه باتروكلوس صوبه للإجهاز عليه وتحقيق النصر؛ وفي هذه اللحظة الحاسمة غافله الإله أبوللون وقذفه من الخلف بسهامه فأصابته كالصاعقة وتحطمت حربته وسقطت خوذته على الأرض. إنها لحظة مفزعة تلك التي مر بها باتروكلوس بعد إصابته بسهم أبوللون، فأصيب بدوار شديد وزاغ

بصره وطنت أذنه وأصبح ذهنه مشوشاً بفعل تلك الصدمة المروعة التي أصابته. وبينما هو كذلك إذا برمح يوفوربوس البتار يصيبه بين كتفيه، عندئذ يتقدم هيكتور ملقياً برمحه صوبه فيخترق جسد باتروكلوس، فيسقط على الأرض مثخناً في جراحه التي أردته قتيلاً[٣٦]؛ ولو أن باتروكلوس كان قد تذكر كلمات أخيليوس ونصائحه ورضى بما حققه وقنع بنجاحه وتفوقه ما كان وصل إلى ما آل إليه ولكنه مصيره المحتوم الذي لا فكاك منه. أما هيكتور فقد شعر بالفخر والمجد لقتله أحد الميرميدونيين ، ولم يتذكر ساربيدون أو كبريونيس اللذان قتلهما باتروكلوس وانتقم لمصرعهما، ولكنه أرضى غروره وتعطشه للمجد هو أيضاً ، وهو ما يظهر في حديثه لزوجته أندروماخي قائلاً[٣٧] :

καὶ πρώτοισι μετὰ Τρώεσσι μάχεσθαι,
ἀρνύμενος πατρὸς τε μέγα κλέος ἠδ' ἐμὸν αὐτοῦ

إنني أقاتل في مقدمة الطرواديين

لأصون مجد أبي ومجدي الشخصي

وفي التو نشأ صراع هائل حول جسد باتروكلوس للحصول على درعه وأسلحته، ولكنها في لحظة كانت في حوزة هيكتور، الذي تراجع لمسافة قصيرة ، وجرد نفسه من أسلحته، وتسلح بأسلحة أخيليوس، ثم عاد مرة أخرى إلى المعركة.

لقد أخطأ هيكتور خطأً كبيراً عندما استولى على درع أخيليوس وأسلحته بعد أن جرد باتروكلوس منها وشرع في ارتدائها، ذلك الخطأ الذي أطلق عليه صامويل إليوت باسيت[٣٨] **Bassett S. E.**، "خطأ يمس الكرامة" (**fault in honor**)، تلك الأسلحة التي كانت تخص الملك بيليوس وأحفاده وليس لأحد آخر الحق في الحصول عليها– والتي كانت الآلهة قد منحتها له هدية لزواجه[٣٩] ، فما كان ينبغي عليه أن ينتزعها عن باتروكلوس؛كما أخطأ أيضاً عندما حاول أن يسحب جسد باتروكلوس بعيدا بغية أن يقطع عنقه ويرميه إلى كلاب الطرواديين[٤٠]. إن اهتمام هيكتور بمجده الشخصي والزهو

بانتصاره قد فاقا اهتمامه بالقتال والسعي لتحقيق النصر؛ فالآن أصبح هيكتور يرى نفسه نداً لأخيليوس، وهو ما يظهر في حديثه لباتروكلوس قائلاً[٤١]:

τίς δ' οἶδ' εἴ κ' ' Αχιλεύς, Θέιδος πάϊς ἠϋκόμοιο,
φθήῃ ἐμῷ ὑπὸ δουρὶ υπεὶς ἀπὸ θυμὸν ὀλέσσαι;

فمن يدري؟ لربما أقهر أخيليوس بن ثيتيس جميلة الشعر

برمحي، وأكون أنا من يباغته ويسلبه حياته.

دافع أياس ومينيلاؤس عن جثمان باتروكلوس دفاعاً مريراً، في الوقت الذي سعى هيكتور ومحاربو طروادة الشجعان جاهدين من أجل الاستيلاء عليه، واحتدم القتال في صراع متساو بين الطرفين، حتى أظلم زيوس السماء بالسحب وبرق البرق وأرعد الرعد، وعندئذ بحث أياس حوله عمن يرسله إلى أخيليوس ليخبره بوفاة صديقه والخطر المحدق والنزال الدائر حول جثمانه الذي يكاد يسقط في أيدي أعدائه، فلم ير من حوله شيئاً، ولم يجد من يرسله إليه، فتضرع إلى زيوس كي يرفع عنهم الظلمة ويكشف عن أعينهم الغمة، فاستجاب زيوس لتضرعه وبدد الضباب وشتت الظلام، وعندئذ أرسل أياس أنتيلوخوس ليخبر أخيليوس بوفاة باتروكلوس والصراع الدائر حول رفاته[٤٢].

تبدأ الطقوس الجنائزية لباتروكلوس بإعلان وفاته[٤٣]؛ يقول أديلي فيسك[٤٤] **Fiske A.M.** "**عند سماع خبر موت أحد الأحباب تنتاب الإنسان مشاعر متضاربة، ويتواصل شريط الذكريات مع ذلك الحبيب؛ وقد يقوم المرء لا شعورياً بالعديد من الأفعال- على الرغم من أن للموت رهبة وجلالاً ينبغي معه الصمت وكبح المشاعر وكتم الصرخات- مثل قص الشعر وحلق اللحية، وإهالة التراب والطين على الوجه والجسد ، اللطم والحرق والفتك بالنفس**". فماذا فعل أخيليوس عندما بلغه نبأ مصرع باتروكلوس، الصديق والرفيق والراعي والمستشار؟

سمع أخيليوس الخبر فغمرته غمامة حالكة من الحزن، وقبض بكلتا يديه قبضة من رماد أسود أهاله على رأسه حتى تشوه وجهه الوسيم، ثم تمرغ بجسده في التراب وأخذ

يشد شعره ويمزقه. لقد جن جنونه واستشاط غضبه، وأخذ يصرخ ويتأوه حتى بلغت آهاته وأناته أسماع أمه الربة ثيتيس، بعيداً في أعماق المحيط، وقد أسرعت بالإستفسار عن السبب، فوجدته يوجه لنفسه اللوم الشديد لموت صديقه، فقد انتابه شعور بالمسئولية المباشرة تجاه ما حدث لباتروكلوس، فموت صديقه ما هو إلا نتيجة حتمية لصراعه مع أجاممنون(٤٥)، فأين كان حين تخلى عن مسئولياته تجاه حماية صديقه من القتل بل تجاه حماية كل الإغريق؟ لقد شعر أن غيابه عن ساحة القتال كان سبباً في مقتل أعز أصدقائه وفقد تلك الرعاية والعناية. كان عزاء أخيليوس الوحيد هو الأمل في الإنتقام من قاتله؛ وكاد يهب من خيمته للبحث عن هيكتور حتى ذكرته أمه بأنه الآن بلا أسلحة ووعدته بأن تحضر له غيرها إذا انتظر حتي اليوم التالي.

صاح أخيليوس صيحة مدوية بلغت عنان السماء فارتجفت لها قلوب الطرواديين وارتعدت فرائصهم، وعندئذ نجح الآخيون في استعادة جثمان باتروكلوس وحملوه قبالة سفن الآخيين على نعش، فاحتشد رفاقه من حوله يبكون وكان من بينهم أخيليوس الذي ذرف دمعاً غزيراً(٤٦)؛ وظل الآخيون يبكون باتروكلوس وينوحون حوله طوال الليل، يقودهم أخيليوس، الذي يصف هوميروس شدة ألمه بقوله(٤٧):

τοῖσι δὲ Πηλείδης ἀδινοῦ ἐξῆρχε γόοιο,
χεῖρας ἐπ' ἀνδροφόνους θέμενος στήεσσιν ἑταίρου,
πυκνὰ μάλα στενάχων· ὥς τε λὶς ἠϋγένειος,
ᾧ ῥά θ' ὑπὸ σκύμνους ἐλαφηβόλος ἁρπάσῃ ἀνὴρ
ὕλης ἐκ πυκινῆς.

وكان من بينهم ابن بيليوس، أول من بدأ النواح الأليم
باسطاً يديه، قاتلتي الرجال، على صدر رفيقه،
متأوهاً بمرارة شديدة، تماماً مثل لبؤة ذات لبدة،
سلب قناص أشبالها بعيداً عن الغابة الكثيفة

وهو تشبيه يتناسب بشكل إستثنائي وفريد مع ذلك البطل فهو قادر على مثل هذا الجمع بين هذا الحب العنيف وتلك الكراهية الشديدة في آن واحد، مثل رقة الأسد المتناهية مع صغاره وعنفه وشراسته مع أعدائه(٤٨).

لقد أدى حب أخيليوس الشديد لباتروكلوس إلى تحويل مزاجه من الغضب الشديد من أجاممنون إلى كراهية متناهية للطرواديين مجسدة في شخص هيكتور، كما تحول إحساسه الدفين بمسئوليته عندما تخلي عن الإغريق في وقت الشدة إلى رغبة عارمة في الثأر من الطرواديين؛ وقد أقسم بالانتقام من قاتل صديقه واستعادة أسلحة والده الملك بيليوس، فماذا عساه يفعل؟

خرج أخيليوس إلى ساحة القتال بحثاً عن قاتل صديقه فأصاب الطرواديين الذعر والهلع وأردى كل من واجهه قتيلاً؛ هرع الطرواديون إلى داخل أسوار طرواده، بينما استمر هيكتور رابضاً في مكانه خارج الأسوار، عازماً على منازلة أخيليوس.لم تشفع لديه توسلات أمه وأبيه للإسراع إلى الداخل والاحتماء بأسوار المدينة، بل ظل صامداً في مكانه – وشعر بالخجل من نفسه لعدم الأخذ بنصيحة بوليداماس بالقتال من داخل أسوار المدينة، واعتبر نفسه مسئولاً عن مصرع كل الطرواديين الذين قتلهم أخيليوس(٤٩). ولذلك فقد أخذ على عاتقه، من أجل تبرئة ساحته، إما قتل أخيليوس أو الموت في محاولة قتله.

أفرد هوميروس لمشهد المطاردة مساحة تعد هي الأطول على مدار الإلياذة كلها(٥٠)، كحدث مستمر ضروري لإثارة المشاعر المتأججة والعواطف الدفينة، وزادت براعته في وصف تلك المطاردة من أجل جذب اهتمام المستمعين واستثارة حماستهم ومشاركتهم الوجدانية في أحداثها المأساوية بمزج تلك المطاردة بالعديد من الحوارات المثيرة التي دارت بين هيكتور وأخيليوس. فقد أيقن هوميروس – مثلما أيقن شعراء التراجيديا الأتيكية من بعده – أن الحدث في حد ذاته لا يستثير العاطفة مثلما هو الحال عندما يكون مرتبطاً بحوارات الأشخاص فيما بينهم . ولذلك كانت أكثر أحداث هوميوس تأثيراً تلك التي تقدم كدراما خالصة مصحوبة بقليل من الحركة، أو تلك الأحداث التي يتم

تخفيف النشاط الحركي فيها ببعض الحوارات. لقد أسهب هوميروس في وصف تلك المطاردة وسرد العديد من تفصيلاتها الدقيقة– مثل تحركات الجنود والمعارك الجانبية التي دارت فيما بينهم– واستخدم العديد من التشبيهات في الحوارات التي دارت بين المتحاربين، مثلما هو الحال عندما شبه أخيليوس بإله الحرب ، وشبه درعه الوضاء بالشمس المشرقة(٥١).

تقدم أخيليوس في ساحة القتال وسرعان ما أصبح على مقربة من هيكتور الذي انتابت جسده قشعريرة شديدة وفر من أمامه هارباً فتبعه أخيليوس يعدو من خلفه كالصقر، واستمرت المطاردة ثلاث دورات حول أسوار مدينة طرواده؛ لم يكن سباق عدو من أجل الحصول على جائزة قيمة بل كان سباقاً من أجل الحياه، حياة هيكتور. استمر أخيليوس في المطاردة واستمر هيكتور في الفرار، كما لو كانت مطاردة لا نهاية لها. وعندئذ أصدرت الآلهة حكمها بموت هيكتور فتمثلت له الربة أثينا في هيئة أخيه ديفوبوس وأقنعته بالكف عن الفرار ومواجهة أخيليوس.

ألقى أخيليوس حربته تجاه هيكتور ولكنها أخطأت هدفها، وجاء دور هيكتور فألقى حربته إلا أن أخيليوس نجح في صدها بدرعه الفولاذي، وعندئذ أعادت الربة أثينا الحربة لأخيليوس، وعندما التفت هيكتور نحو أخيه مطالباً إياه بحربة أخرى لم يجده، عندئذ أدرك أنه قد خُدِع، فقام بمهاجمة أخيليوس بسيفه. كان هيكتور يرتدي الأسلحة التي انتزعها من باتروكلوس فضربه أخيليوس في الفجوة الموجودة في درع الصدر بين الكتف والعنق فأرداه قتيلاً (٥٢).

لقد تشابهت الظروف المحيطة بموت كل من باتروكلوس وهيكتور، فكلاهما تحدث قبل موته وتنبأ بمصير قاتِله : فيتنبأ باتروكلوس بمقتل هيكتور على يد أخيليوس عندما يخاطبه قائلاً (٥٣):

οὔ θην οὐδ' αὐτὸς δηρὸν βέῃ, ἀλλά τοι ἤδη
ἄγχι παρέστικεν θάνατος καὶ μοῖρα κραταιή,
χερσὶ δαμέντ' ' Αχιλῆος ἀμύμονος Αἰακίδαο

أنت نفسك لن تحظى بحياة مديدة، فالموت ويَدُ القدر ثقيلان،
يحومان بالقرب منك. ستموت (يا هيكتور) على يد أخيليوس
سليل أياكوس، الذي لا نظير له.

كما يتنبأ هيكتور، قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، لأخيليوس بمصرعه فيقول[٥٤]:

φράζεο νῦν, μή τοί τι θεῶν μήνιμα γένωμαι
ἤματι τῷ ὅτε κέν σε Πάρις καὶ Φοῖβος ᾽ Απόλλων
ἐσθλὸν ἐόντ᾽ ὀλέσωσιν ἐνὶ Σκαιῇσι πύλῃσιν

ولكن ينبغي عليك الآن أن تُعمل فكرك، حتى لا أكون سبباً في غضب
الآلهة عليك في ذلك اليوم الذي سيصرعك فيه باريس وأبوللون
فويبوس(الوضاء) على بوابات سكايا، برغم قوتك.

وهكذا لعب باتروكلوس دوراً هاماً ومؤثراً في تحريك أحداث الإلياذة، فمن ناحية، كان إعلان موته إيذاناً بانتهاء غضبة أخيليوس وعودته مرة أخرى للمشاركة في القتال، ومن ثم مقتل هيكتور. فالبطل الذي رفض العديد من هدايا أجاممنون في الكتاب التاسع، عاد للمشاركة في القتال بمجرد سماعه بموت باتروكلوس على يدي هيكتور[٥٥]. ومن ناحية أخرى، كان رد فعل أخيليوس عند سماعه خبر وفاة باتروكلوس لا يرقى إلى ما قدمه هوميروس في الإلياذة عن العلاقة بين الرجلين. فعلى الرغم من أن غضب أخيليوس الشديد بسبب مقتل باتروكلوس يوضح مدى حبه له، إلا إن أخيليوس لم يظهر ذلك الدفء في العلاقة بينهما وذلك الاهتمام الشديد به أثناء حياته[٥٦] .

كان حزن أخيليوس على فراق صديقه مميتاً للدرجة التي تمنى فيها ألا يكون ابناً لبيليوس[٥٧]، وعلى الرغم من انتقامه لمصرع صديقه واستعادة أسلحة بيليوس الرهيبة والمهيبة التي سلبها منه قاتله هيكتور، إلا أنه ظل محزوناً لفقد صديقه الحبيب ، وهو ما يظهر جليا في قوله[٥٨]:

ἐπεὶ οὔ μ᾽ ἔτι δεύτερον ὧδε
ἵξετ᾽ ἄχος κραδίην, ὄφρα ζωοῖσι μετείω

فلن يصيب قلبي حزن آخر،

ما بقيت بين الأحياء مثلما أصابه.

ولكنه لم يكتف بذلك بل دفعته كراهيته الشديدة لهيكتور ولكل الطرواديين إلى التفكير في طريقة مشينه يعامل بها جسده [٥٩]؛ وكانت فكرة الانتقام الشنيع هي كل ما يشغل بال أخيليوس في ذلك الوقت، مما جعله يتعامل مع جثمان هيكتور بطريقة وحشية، فقام بثقب قدمي هيكتور ومرر بهما سير من جلد الأبقار وشده إلى عربته الحربية تاركاً الرأس تتدلى على الأرض وطار مسرعاً بعربته فتمرغت رأس هيكتور في التراب، وإمعاناً في الإهانة فقد تعمد أخيليوس أن يدور بجثته حول أسوار المدينة ثلاث مرات حتى يزيد من ألم أمه وأبيه وزوجته وكل أقربائه، بل وحشود الشعب الطروادي، حين يمر من أمامهم مقيداً من قدميه، مسحوباً على وجهه في التراب تجره عربة أخيليوس الحربية[٦٠].

زهد أخيليوس في الطعام والشراب وجافت مقلتاه النوم، وكانت تنتابه نوبات من الحزن الشديد والألم المرير كلما تذكر صديقه الحبيب، وعندئذ تشتد لديه الرغبة في الانتقام من الطرواديين، فيخرج من خيمته ويهجم عليهم، وينكل بهم ويحصد رؤوسهم فتهدأ نفسه؛ ثم ما يلبث أن تعاوده الآلام وتنتابه الأحزان مرة أخرى، حتى جمع رفاقه الميرميدونيين من حوله وطلب منهم البكاء على باتروكلوس تكريماً له فقاموا بالدوران حول الجثمان وهم يجهشون جميعاً بالبكاء حتى امتزجت بدموعهم الرمال. كان أخيليوس يرفض التخلص من جثمان صديقه بدفنه، كما هو متبع، حتى تهدأ روحه وتستقر في العالم السفلي، فأنى له أن يبتعد عنه! وكيف يتحمل ألم فراقه! ولكن بعدما غلبه النعاس وأقبلت عليه روح باتروكلوس في المنام، طلب منه أن يقوم بدفنه حتى يستطيع عبور بوابات هاديس بسرعة قبل أن تدفعه الأرواح وكذلك الأشباح بعيداً عنها؛ ثم أردف قائلاً [٦١] :

ἄλλο δέ τοι ἐρέω καὶ ἐφήσομαι, αἴ κε πίθηαι
μὴ ἐμὰ σῶν ἀπάνευθε τιθήμεναι ὀστε᾽ ,᾽ Αχιλλεῦ,
ἀλλ᾽ ὁμοῦ, ὡς τράφομέν περ ἐν ὑμετεροισι δόμοισιν

والآن سوف أطلب منك شيئاً آخر، وأستحلفك أن تحققه لي إذا اقتنعت به،
وهو ألا تضع عظامي بعيداً عن عظامك، أي أخيليوس،
ولكن لنكن معاً في نفس المكان، مثلما ترعرعنا معا في البيت نفسه.

وفي التو، انصاع أخيليوس لطلبه وأعد له مراسم جنائزية عظيمة تليق بمكانته وتظهر مدى حبه له، يصفها لنا هوميروس بإسهاب في الكتاب الثالث والعشرين[٦٢] بتفصيلات دقيقة لم يتناول مثلها من قبل في الإلياذة، مما يوضح ما لهذا الحدث من أهمية:

يبدأ مشهد الجنازة باستعراض الوداع الأخير لرفيقه الحبيب. في البداية، يأمر أخيليوس الميرميدونيين أن يربطوا أسلحتهم حول أجسادهم وأن يشدوا خيولهم إلى نير عرباتهم الحربية ويصعدوا إليها؛ ثم يبدأ الموكب يتقدمه الفرسان – الذين يؤدون بعض الرقصات المصحوبة بالسلاح، وهو من المشاهد الجنائزية المألوفة[٦٣]– يتبعهم حشد كبير من جند المشاة، يتوسطهم حملة الجثمان، بعد أن قاموا بتغطيته كاملاً بخصلات شعرهم، ومن خلفهم يسير أخيليوس ممسكاً برأس باتروكلوس، باكياً ومنتحباً؛ ثم وضعوا الجثمان على الأرض حتى يتم إعداد المحرقة. عندئذ قام أخيليوس بقص خصلات شعره الأشقر ووضعها في يدي صديقه الحبيب– تلك الخصلات التي كان قد وعد أن يقدمها قرباناً لنهر سبيرخيوس احتفالاً بعودته إلى دياره؛ ثم يشرع القائمون على المراسم الجنائزية في تشييد محرقة ضخمة– وهي الفقرة الرئيسة في الطقوس الجنائزية. امتدت المحرقة لمسافة مائة قدم طولاً وعرضاً، ووضعوا على قمتها جثمان باتروكلوس ممسكاً في يده خصلات شعر أخيليوس، ثم قاموا بسلخ العديد من الخراف السمينة والأبقار، وعندئذ نزع عنها أخيليوس دهونها وقام بنفسه بتغطية جثمان باتروكلوس كاملاً بها – ضماناً لسرعة احتراق الجثمان– ثم أحاطه بالحيوانات التي تم سلخها، وعلى مقربة منه وضع جرة كبيرة من عسل النحل وأخرى من زيت الزيتون، ثم ألقى بأربعة من الخيول داخل المحرقة. وكان

لأخيليوس وباتروكلوس تسعة من الكلاب تم ذبح اثنين منها ووضعا بجوار جسد سيدهما. وأخيراً ألقى باثني عشر شاباً من أنبل نبلاء طرواده بعد أن قام بنفسه بذبحهم بسيفه البتار – كوقود للمحرقة؛ وبعدئذ يقوم الجنود جميعهم وبكامل هيئتهم بالرقص أمام المحرقة كتحية وداع أخيرة للرفيق الفقيد(٦٤).

وعلى الرغم من ذلك الوصف المسهب وتلك التفصيلات الدقيقة للمحرقة، إلا أنه لم ترد أية إشارة لدفن أي نوع من الأسلحة مع باتروكلوس، على الرغم من أن المراسم الجنائزية الخاصة بالمحاربين قبل عصر هوميروس، وكذلك بعده، كانت تتضمن دفن عتادهم وأسلحتهم معهم تكريماً لهم(٦٥)، وهي إشارة إلى أن باتروكلوس لم تكن لديه أسلحة، مما قد يعني أنه لم يذهب إلى طروادة مع أخيليوس كمحارب، وإنما كرفيق وراع وناصح له؛ وأنه لم يشارك في القتال بدلاً من أخيليوس سوى تلبية لمشورة نستور التي وافقت رغبته في الزود عن رفاقه الآخيين. ومن الملاحظ أيضاً أن الأمور الرئيسة الخاصة بالطقوس الجنائزية لم تقم بها النساء كما هو متعارف عليه من قبل في العالم اليوناني القديم، وهو ما تعلق عليه ساره بوميروي(٦٦) .**Pomeroy S** بقولها :

The cycle of life takes us the care of women and returns us to the care of women

إن دورة الحياة تبدأ بعناية النساء بنا وتنتهي أيضاً بعناية النساء

أما في حالة باتروكلوس فقد قام أخيليوس ورفاقه الآخرون بغسله بالماء الدافئ وتنظيفه من الدماء التي كانت تسيل من جروحه، ثم قاموا بدهان جسده بالزيت المعطر، ثم وضعوا جسده على نعش ملفوفاً من الرأس حتى القدمين بالكتان – بما يشبه التحنيط– ثم غطوه بوشاح أبيض(٦٧)؛ والسؤال الذي يفرض نفسه الآن لماذا لم تقم النساء بدورها المتعارف عليه في مثل هذه المواقف؟ ويرجح البعض أن هذا الدور النسائي في الرثاء الذي قام به أخيليوس وفي إعداد وتجهيز الجثمان للمحرقة والدفن إنما يرجع لحبه الشديد لرفيقه أو لتلك العلاقة الجنسية بينهما، والتي كان البعض قد أشار إليها؛ ولكن من المؤكد

أن ما قام به أخيليوس ورفاقه من تصرف إنما يعود لكونهم في وسط حالة خاصة جداً، وهي حالة الحرب، مما يمنع الطقوس من الاتجاه في أي طريق آخر: فأقرباء باتروكلوس ، مثل زوجته أو أمه، غائبتان؛ وفي الوضع الطبيعي كانتا ستصبحان هما المسئولتان عن تلك الطقوس الجنائزية؛ كما أن فكرة "العشيرة"، أو رابطة الدم، تلعب دوراً أساسياً في تكوين فكر المجتمع اليوناني البدائي، وهكذا، ففي غياب أقرباء باتروكلوس المقربين، هناك عدد محدود من الناس ممن يسمح لهم بأداء تلك المهام المتعلقة بالطقوس الجنائزية: مثل أصدقائه المقربين، ورفيقه الحميم؛ حتى أن الإماء لا يجرؤن على عرض خدماتهن للقيام بتلك المهام(٦٨).

بعدما انتهى القائمون على المراسم الجنائزية من تجهيز المحرقة، قام أخيليوس بإشعال النيران فيها، وقبل أن يفنى الجسد ويتآكل بفعل النيران يصرخ أخيليوس باكياً ومناجياً صديقه الحبيب، قائلاً(٦٩):

أي باتروكلوس، تحية لك مني وأنت في منازل هاديس،
لقد نفذت كل ما وعدتك به :
فهؤلاء اثنا عشر من أنبل نبلاء الطرواديين الشجعان
تلتهم النار أجسادهم جميعاً مع جسدك. أما هيكتور
بن برياموس فلن أسلمه طعاماً للنار، بل للكلاب(٧٠).

اندلعت النيران في المحرقة وتصاعدت ألسنتها، بينما كان أخيليوس يخطو بخطوات متثاقلة حول المحرقة وهو يبكي حزناً على فراق صديقه الحبيب. وعندما خمدت النيران أمر أخيليوس رفاقه بجمع عظام باتروكلوس من وسط المحرقة ولفها بطبقتين من الدهن، ثم وضعها في جرة ذهبية تمهيداً لدفنها في قبر شيده رفاقه، ثم يوصيهم بما أوصاه به باتروكلوس: أن يضعوا عظامه بعد موته مع عظام صديقه حتى لا يفترقا حتى بعد مماتهما.

ثم ينفض الجمع ويتفرق الحشد، أما أخيليوس فيتذكر صديقه الحبيب ثم يشرع في بكاء شديد، وقد جافاه النوم، وعندئذ يهب من فراشه غاضباً ويسرع متوجهاً نحو الشاطئ، يربط جثمان هيكتور في عربته الحربية ويسحبه على وجهه ويدور به ثلاث مرات حول قبر باتروكلوس(٧١)؛ إنه تصرف مشين من أخيليوس لأنه قام بسحب جسد هيكتور بعد انتهائه من دفن باتروكلوس، ذلك السلوك الذي يعد من الأمور غير المألوفة والجديدة التي ابتكرها أخيليوس من شدة غضبه امتهاناً لهيكتور وتكريماً لصديقه(٧٢).

لقد أحجم أخيليوس من قبل عن التنكيل بجثة أحد أعدائه وهو الملك أئيتيون– والد أندروماخي– " احتراماً لروحه" **σεβάσσατο γὰρ τό γε θυμῷ** (٧٣)، فلم يكن يحمل أية ضغينة ضده، ولم تكن لديه أية عداوة شخصية معه، ولذلك فقد أقام له محرقة وضع بها درعه وأسلحته ثم أقام له قبراً وأهال التراب على رماده؛ وهي السابقة الأولى من نوعها في إلياذة هوميروس التي يقوم فيها شخص بدفن جثمان أحد أعدائه. وبينما يتسم سلوك أخيليوس تجاه الملك أئيتيون بسمات وأخلاق الفرسان، كان تصرفه تجاه هيكتور تصرفاً مشيناً بانتهاكه حرمة الميت والتنكيل بجثمان هيكتور، واستمراره في ذلك حتى عقب انتهائه من مراسم دفن باتروكلوس، وهو سلوك يتنافى مع سلوك الفرسان(٧٤)؛ ولذلك يقول الإله أبوللون(٧٥):

ὣς ᾽ Αχιλεὺς ἔλεον μὲν ἀπώλεσεν, οὐδέ οἱ αἰδὼς

وهكذا فقد أخيليوس إحساسه بالشفقة، وأيضاً بالحياء

شرع أخيليوس، بعد الانتهاء من المراسم الجنائزية لباتروكلوس، في إقامة الألعاب الرياضية والمنافسات بين أبطال الإغريق، تكريماً لصديقه– وهوما عبر عنه أخيليوس في أكثر من موضع– فأثناء حديثه عن سباق العربة الحربية يقول (٧٦):

εἰ μὲν νῦν ἐπὶ ἄλλῳ ἀεθλεύοιμεν ᾽ Αχαιοι,
ἦ τ᾽ ἂν ἐγὼ τὰ πρῶτα λαβὼν κλισίηνδε φεροιύμην.

لو كان الآخيون يتسابقون الآن تكريماً

لشخص آخر (غير باتروكلوس) لكنت قد حصلت على الجائزة

الأولى وحملتها إلى خيمتي

وفي سباق الجري بالقدمين يرصد أخيليوس جائزة ثمينة للأكثر خفة والأكثر سرعة في الجري " لتكريم صديقه " ἀέθλιον οὗ ἑτάροιο [٧٧].

خصص أخيليوس العديد من الجوائز الثمينة والنفيسة من مقتنياته الخاصة وأيضاً تلك الخاصة بباتروكلوس والتي كان قد غنمها أثناء مشاركته في النزال؛ وقد حصل عليها الفائزون في المسابقات المختلفة – كسباق العربات الحربية والمصارعة والملاكمة وصراع الأذرع ورمي الرمح ورمي السهام والجري – وطالبهم أخيليوس بالاحتفاظ بها " تذكاراً من دفن باتروكلوس " Παρόκλοιο τάφου μνῆμα [٧٨].

وتعد الألعاب الجنائزية لباتروكلوس بمثابة عرض ختامي لشخصيات إلياذة هوميروس الرئيسية، وربما أراد هوميروس من ذلك التذكير بهؤلاء الأبطال الذين احتلوا مكانة في الالياذة وجذبوا انتباهنا[٧٩] وقد أسهب هوميروس وقدم وصفاً تفصيلياً دقيقاً لكل لعبة من تلك الألعاب وجوائزها في الكتاب الثالث والعشرين بداية من البيت ٢٥٨ حتى البيت ٨٩٨.

الهوامش

[1] – الكتاب الحادي عشر، الأبيات ٧٨٢–٧٩٣؛ الكتاب الثالث والعشرين، الأبيات ٨٤–٩٠ .

[2] – الكتاب الحادي عشر، الأبيات ٧٨٦–٧٨٧.

[3] – تبنيت في هذا البحث ترجمة الإلياذة المقدمة من المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة)، العدد ٧٥٠ ، عام ٢٠٠٤.

٤– الكتاب الثامن عشر، الأبيات ٣٣٦–٣٣٧، انظر:

Miller S. G. (1986), "Eros and the Arms of Achilles", American Journal of Archaeology, Vol. 90, No. 2: p. 165.

[5] – الكتاب الثامن عشر، البيت ١٠٥.

[6] – الكتاب السابع عشر، الأبيات ٤٧٤–٤٧٨.

[7]– Finlay R. (1980), " Patroklos, Achilleus, and Peleus: Fathers and Sons in the "Iliad" , The Classical World, Vol. 73, No. 5 : p. 270.

[8] – الكتاب التاسع عشر، الأبيات ٣٣٠–٣٣٢.

[9] – الكتاب الأول، البيت ٣٤٦ ؛ الكتاب التاسع، البيت ٢٠٦.

[10] – الكتاب السابع عشر، البيت ٦٨٩.

[11] – الكتاب الثامن عشر، البيت ١٠ .

[12] – الكتاب السادس عشر، الأبيات ٩٧–١٠٠.

[13] – قارن :

Mueller M. (1978), Knowledge and Delusion in the Iliad, Essays on the Iliad, edited by John Wright, London : pp. 116-19.

[14] – Mills S. (2000), "Achilles, Patroclus and Parental Care in Some Homeric Similes," Greece & Rome, Second Series, Vol. 47, No. 1: pp. 11-12.

[15] – [الكتاب التاسع، الأبيات ٢٠٧–٢١٧].

[16] – يؤكد هوميروس على ارتباط الطعام بمكانة الأبطال في العديد من المواضع الأخرى، مثال ذلك الكتاب الثاني عشر من الإلياذة، الأبيات ١٠–٣٢٠؛ الكتاب السابع من الأوديسيا، الأبيات ٤٧٤– ٤٩٠؛ انظر أيضاً

Beye C.R. (1974), "Men and Women in the Homeric Poems", Ramus 3: pp. 87-101.

[17] – [الكتاب الحادي عشر، الأبيات ٦٢٤–٦٤١].

[18] – انظر Crotty K. (1994), The Poetics of Supplication, Ithaca: p. 58 ; Beye C.R., op. cit., p. 89.

19 *Plato, Symp. 179E-180A.*

حول هذا الموضوع دارت العديد من المناقشات بين النقاد والباحثين، انظر

Mariscal, G. L. & Morale M.S. (2003) ,“ The Relationship Between Achilles and Patroclus According to the Chariton of Aphrodisias.” Classical Quarterly 53: pp. 292-295

20 – *Xenophon, Symp. 8,31.*

21 – Clarke W. M.(1978), " Achilles and Patroclus in Love ", Hermes, Vol. 106, No. 3:p.381; Saul L. (1949),"Love and the Hero of the Iliad," Transactions and Proceedings of the American Philological Association, Vol. 80 : pp. 43-44.

22 – Miller S.G., op.cit., p. 165.

انظر : Sinos D.S.(1980), Achilles, Patroklos and the Meaning of " Philos", Innsbruck, pp.55-70; Mac Cary W.T.(1982),Childlike Achilles. Ontogeny and Phylogeny in the Iliad, New York, pp. 127-36, 178-95.

23- Friedrich P. (1977), "Sanity and the Myth of Honor: the Problem of Achilles," Ethos, Vol. 5 no 3 : pp. 282.

٢٤ – الكتاب التاسع، الأبيات ١٣٢-١٣٤.

٢٥ – الكتاب التاسع، الأبيات ٣٥٤-٣٦٣.

26 – Robertson H. G. (1955), "The Hybristes in Homer ", The Classical Journal, Vol. 51, No. 2 : 81.

27 – Knox B. (1990), "Achilles", Grand Street Vol. 9, No. 3 : pp. 133,136.

ويرى بعض النقاد أن قرار أخيليوس بالبقاء في طرواده ثم الموت بعد أن ينال المجد العظيم ليس له أدنى علاقة بموت باتروكلوس بل برغبة أخيليوس في الحصول على المجد والشهرة دون الحياة الطويلة الخاملة. أما موت باتروكلوس فهو الإشارة التي تؤكد اقتراب موت أخيليوس، انظر

Kyriakou, P. (1999), " Aeneas' Dream of Hector Source", Hermes, Vol. 127, No. 3 (3rd Qtr): pp.317, 319.

٢٨ – الكتاب السادس عشر، الأبيات ٧-١٩.

29– Ledbetter G.M.(1993)," Achilles` Self-Address: Iliad 16. 7-19," The American Journal of Philology, Vol. 114, No. 4: pp. 482 n. 2; Sinos D.S., op.cit., pp. 29-37.

حول الصراع بين غضب أخيليوس وشفقته، انظر

Whitman C.H.(1958), Homer and the Heroic Tradition. Cambridge: p. 197-200.

30 – MacCary W.T. op.cit., p. 150.

٣١ – [الكتاب السادس عشر، الأبيات ٤٠-٤٣].

32 – Saul L., op.cit., p. 40.

٣٣ – الكتاب السادس عشر، الأبيات ٨٧-٩٢ .

٣٤ – الكتاب السادس عشر، الأبيات ١٢٦-١٤٥.

35 – Robertson H. G., op.cit., p. 81.

٣٦ – الكتاب السادس عشر، الأبيات ٧٢٠-٨٥٧.

٣٧ – الكتاب السادس، الأبيات ٤٤٤-٤٤٥ .

38 – Bassett S. E. (1923)," Hector's Fault in Honor ", Transactions and Proceedings of the American Philological Association, Vol. 54 : pp. 117-118,121.

39 – Wilson J.R.(1974),"The Wedding Gifts of Peleus," Phoenix 38 : pp.385-89.

٤٠ – الكتاب السابع عشر، الأبيات ١٢٦-١٢٧.

٤١ – الكتاب السادس عشر، الأبيات ٨٦٠-٨٦١ .

٤٢ – الكتاب السابع عشر، الأبيات ٦٤٥-٦٥٥.

٤٣ – يُقَسِّم كارلوس إسبيو موريل **Muriel C.E.** الطقوس الجنائزية إلى ثلاثة أحداث رئيسة متتالية، وهي: إعلان الوفاة، الرثاء، الجنازة الأصلية، انظر

Muriel C. E. (1999), "Achilles and Patroclus in Love. New Contributions to Greek Funeral Ritual," Journal of Ancient Civilizations, Vol.14 : p. 20.

44 – Fiske A.M. (1969),"Death: Myth and Ritual," Journal of the American Academy of Religion, Vol. 37, No. 3: p. 250.

45 – Knox B., op.cit., p. 138.

٤٦ – الكتاب الثامن عشر، الأبيات ٢٣٥-٢٣٦.

٤٧ – الكتاب الثامن عشر، الأبيات ٣١٦-٣٢٠.

48 – Mills S., op.cit., p. 9.

٤٩ – الكتاب الثاني والعشرون، الأبيات ١٠١-١٠٥.

٥٠ – الكتاب الثاني والعشرون، الأبيات ١٣١-٢٠٥.

51 – Bassett S. E.(1930), "The Pursuit of Hector ", Transactions and Proceedings of the American Philological Association, Vol. 61: 130-133.

٥٢ – الكتاب الثاني والعشرون، الأبيات ١٣١-٣٣٠.

يعقد ديفيد ويست مقارنة بين وصف فيرجيليوس لمصرع تورنوس في الإنيادة ووصف هوميروس لمصرع هيكتور في الإلياذة؛ ويوضح أن هناك اختلاف بين فيرجيليوس وهوميروس في ترتيب عناصر المشهد، فبينما بدأ هوميروس بمشهد المطاردة ثم يعقبها القتال، بدأ فيرجيليوس بمشهد القتال ثم يعقبه المطاردة. انظر

David W. (1974), " The Death of Hector and Turnus," Greece & Rome,Second Series, Vol. 21, No. 1 : p. 21.

٥٣ – الكتاب السادس عشر، الأبيات ٨٥٢–٨٥٤.

٥٤ – الكتاب الثاني والعشرون، الأبيات ٣٥٨–٣٦٠.

انظر Bassett S. E.(1933), "Hector's Last Words, "Iliad" XXII, 358-60 ", The Classical Journal, Vol. 29, No. 2 : 130.

55 – Finlay R., op.cit., p. 267.

56 – Mills S., op.cit., pp. 9, 13.

٥٧ – الكتاب الثامن عشر، الأبيات ٨٢–٨٧.

٥٨ – الكتاب الثالث والعشرون – الأبيات ٤٦–٤٧ .

٥٩ – كانت جثة البطل المقهور تتحول إلى ملكية خاصة للمنتصر، الذي كانت لديه حرية الاختيار فيما يمكن أن يفعله بتلك الجثة، ويبدو أن العصر الذي أنشد فيه هوميروس قصائده لم يكن لزاماً على المنتصر دفن خصومه، وهو ما تغير في القرن الخامس ق.م. حيث أصبح دفن الأعداء– كما ورد في مسرحية "الضارعات" ليوريبيديس، البيت ٥٢٦– " قانوناً مفروضاً على كل اليونانيين" ὁ Πανελλήνων νόμος. انظر

Bassett S.E.(1933), ”Achilles' Treatment of Hector's Body ", Transactions and Proceedings of the American Philological Association, Vol. 64 : p. 47.

60 – Paton W. R. (1913), "The Dragging of Hector," The Classical Review, Vol. 27, No. 2 : p. 45.

٦١ – الكتاب الثالث والعشرون، الأبيات ٨٢–٨٤.

٦٢ – الأبيات ١٢٦–١٧٧.

63 – Lawler L. (1964), The Dance in Ancient Greece, London: p 42.

64 – Muriel C. E., op.cit., p. 19.

٦٥ – ومن ذلك أن أندروماخي قد أعربت عن رضاها– بعندما علمت بموت أبيها أئيتيون – لأن أخيليوس قد أحسن معاملته وقام بإحراق جثته مع درعه وأسلحته، ثم أهال عليه التراب[الكتاب السادس، الأبيات ٤١٥–٤١٨]. ويتضح لنا من حديثها بفخر وكبرياء عن أن درع وأسلحة والدها قد وضعوا معه في ذات المحرقة ما لهذا الطقس الجنائزي من أهمية؛ وفي مسرحية "أياس" لسوفوكليس، يطلب البطل أياس من ابنه يوريساكيس الاحتفاظ لنفسه بدرعه الكبير، على أن يقوم بدفن بقية أسلحته في القبر مع معه عند موته[البيت ٥٧٧]؛ وقد قام بالفعل بتنفيذ ما أوصى به أبيه في البيت[١٤٠٧]. انظر

Scott , J.A (1918), "Achilles and the Armor of Patroclus ," The Classical Journal, Vol. 13, No. 9: pp. 683, 684.

66 - Pomeroy S.(1972), Goddesses, Whores, Wives and Slaves. Women in Classical Antiquity, New York : p. 101.

[٦٧] – الكتاب الثامن عشر، الأبيات ٣٤٣-٣٥٣.

[68] – Muriel C. E., op.cit., p. 21.

[٦٩] – الكتاب الثالث والعشرون – الأبيات ١٧٩-١٨٣ .

[٧٠] – يبدو أن عادة إلقاء جثامين الأعداء للكلاب والطيور الجارحة كانت من الأمور المألوفة لدي اليونانيين وهو ما ورد ذكره مراراً وتكراراً في الإلياذة، قارن[الكتاب الثامن، الأبيات ٣٧٩-٣٨٠؛ الكتاب الحادي عشر، الأبيات ٣٩٥، ٤٥٣-٤٥٤؛ الكتاب الثالث عشر، الأبيات ٢٣٤، ٨٣٠- ٨٣١؛ الكتاب الخامس عشر، الأبيات ٣٥٠-٣٥١ ؛ الكتاب السابع عشر، الأبيات١٢٦-١٢٧؛ الكتاب الثامن عشر، الأبيات١٧٩، ٢٧١، ٢٨٣؛ الكتاب الثاني والعشرون، الأبيات ٤٢، ٨٩، ٥٠٩ ؛ الكتاب الرابع والعشرون، البيت ٢١١].

[٧١] – الكتاب الرابع والعشرون، الأبيات ١-١٨.

[٧٢] – Paton W. R., ibid., p. 45.

[٧٣] – الكتاب السادس، البيت ٤١٧. انظر : Bassett S.E., ibid., pp. 47, 50

[٧٤] – يُبرئ صامويل إليوت باسيت ساحة أخيليوس من تهمة إقدامه على سلوك يتنافي مع سلوك الفرسان، وكذلك اتهامه بالوحشية والسلوك غير الإنساني، ويرى أنها اتهامات غير حقيقية لأن جثمان المقهور أصبح ملكاً للمنتصر يفعل به ما يشاء ؛ وكان هيكتور على علم تام بتلك العادات الخاصة بانتهاك حرمة جسد الأعداء عندما قال موجهاً حديثه لأخيليوس:

οὐ γὰρ ἐγὼ σ' ἔκπαγλον ἀεικιῶ

فأنا لن أمثل بجسدك بوحشية [الكتاب الثاني والعشرون، البيت ٢٥٦]

Bassett S.E.(1934), " The Amartia of Achilles, " Transactions and Proceedings of the American Philological Association, Vol. 65 : p. 47.

[٧٥] – الكتاب الرابع والعشرون، البيت ٤٤.

[٧٦] – الكتاب الثالث والعشرون، الأبيات ٢٧٤-٢٧٥.

[٧٧] – الكتاب الثالث والعشرون، البيت ٧٤٨.

[٧٨] – الكتاب الثالث والعشرون، البيت ٦١٩.

[79] – Hinckley L.V.(1986), "Patroclus' Funeral Games and Homer's Character Portrayal ," The Classical Journal, Vol. 81, No. 3 : p. 209.

عن الألعاب الجنائزية لباتروكلوس، انظر أيضاً

Willcock M.M.(1973)," The Funeral Games of Patroclus," BICS, Vol. 20: pp. 1-11.

المصادر والمراجع

أولاً المصادر :

Homer : Iliad, vol. I, ed. by T.E. Page, trans. by A.T. Murrey (L.C.L), London 1927.

: Iliad, vol. II, ed. by T.E. Page, trans. by A.T.Murrey (L.C.L),London 1929.

: Iliad, vol. III,ed. by T.E. Page, trans. by A.T.Murrey (L.C.L),London 1932.

Plato : Symposium , ed. by E. Capps , trans. by M. Lambs (L.C.L) , London 1925 .

هوميروس، الإلياذة ، ترجمة أحمد عتمان، لطفي عبد الوهاب، منيرة كروان، سيد البراوي، عادل النحاس، تحرير ومراجعة أحمد عتمان، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة) ، العدد ٧٥٠ ، عام ٢٠٠٤.

ثانياً المراجع :

Bassett S. E.(1923)," Hector's Fault in Honor," Transactions and Proceedings of the American Philological Association, Vol. 54 : pp. 117-127.

Idem.(1930), "The Pursuit of Hector," Transactions and Proceedings of the American Philological Association, Vol. 61 : pp. 130-149.

Idem. (1933), "Achilles' Treatment of Hector's Body," Transactions and Proceedings

of the American Philological Association, Vol. 64 : pp. 41-65.

Idem. (1934), " The Amartia of Achilles, " Transactions and Proceedings of the American Philological Association, Vol. 65 : pp. 47-69.

Beye C.R.(1974), "Men and Women in the Homeric Poems," Ramus 3 : pp. 87-101.

Clarke W. M.(1978), " Achilles and Patroclus in Love ", Hermes, Vol. 106, No. 3 : pp. 381-396 .

Crotty K.(1994), The Poetics of Supplication, Ithaca.

Finlay Robert (1980), " Patroklos, Achilleus, and Peleus: Fathers and Sons in the "Iliad" , The Classical World, Vol. 73, No. 5 : pp. 267-273.

Fiske A. M. (1969), "Death: Myth and Ritual ." Journal of the American Academy of Religion, Vol. 37, No. 3 : pp. 249-265.

Friedrich, P.(1977), "Sanity and the Myth of Honor: the Problem of Achilles," Ethos, Vol. 5 no 3 : pp. 281-305

Hinckley L.V.(1986), "Patroclus' Funeral Games and Homer's Character Portrayal," The Classical Journal, Vol. 81, No. 3 : pp. 209-221.

Knox, B (1990)," Achilles, " Grand Street, Vol. 9, No. 3 : pp. 129-150.

Lawler L. (1964), The Dance in Ancient Greece, London.

Ledbetter, Grace M. (1993), " Achilles' self-address: Iliad 16. 7-19," American Journal of Philology , Vol. 114: pp.481 - 492.

Mac Cary W.T. (1982), Childlike Achilles. Ontogeny and Phylogeny in the Iliad , New York.

Mariscal G. L. & Morale M.S.(2003), "The Relationship Between Achilles and Patroclus According to the Chariton of Aphrodisias," Classical Quarterly 53: pp. 292-295.

Miller S. G. (1986), Eros and the Arms of Achilles, American Journal of Archaeology, Vol. 90, No. 2: pp. 159-170.

Mills.S (2000), Achilles, Patroclus and Parental Care in Some Homeric Similes , Greece & Rome, Second Series, Vol. 47, No. 1: pp. 3-18.

Mueller M. (1978), Knowledge and Delusion in the Iliad, Essays on the Iliad, edited by John Wright, London .

Muriel C. E. (1999), "Achiles and Patroclus in Love. New contributions to Greek Funeral Ritual," Journal of Ancient Civilizations, Vol. 14 : pp. 19-26.

Paton W. R.(1913), "The Dragging of Hector," The Classical Review, Vol. 27, No. 2 : pp. 45-47.

Pomeroy S.(1972), Goddesses, Whores, Wives and Slaves. Women in Classical Antiquity. New York.

Poulheria K. (1999), " Aeneas' Dream of Hector Source," Hermes, Vol. 127, No. 3 (3rd Qtr): pp. 317-327.

Robertson H. G. (1955), "The Hybristes in Homer," The Classical Journal, Vol. 51, No. 2 : pp. 81-83.

Saul L. (1949),"Love and the Hero of the Iliad, " Transactions and Proceedings of the American Philological Association, Vol. 80 : pp. 37-49.

Scott , J.A (1918), "Achilles and the Armor of Patroclus ." The Classical Journal, Vol. 13, No. 9: pp. 682-686.

Sinos D.S. (1980), Achilles, Patroklos and the Meaning of 'Philos' , Innsbruck.

West D. (1974), " The Death of Hector and Turnus," Greece & Rome, Second Series, Vol. 21, No. 1 : pp. 21-31.

Whitman C.H.(1958), Homer and the Heroic Tradition, New York .

Willcock M. M.(1973),"The Funeral Games of Patroclus," BICS, Vol. 20 : pp. 1-11.

Wilson J.R.(1974), "The Wedding Gifts of Peleus," Phoenix Vol. 38: pp. 385-89.